مساء والليل يقترب. تلفت حولي، كان الشارع شبه مهجور. ركضت. رأيت سيارات جيش تقطع الطريق. حاولت أن أمشي بشكل عادي، سرت ببطء قاصدا البيت. مررت بميدان الإسماعيلية. يكاد يخلو من المارة. رأيت عددا من سيارات الجيش المحملة بالجنود تقف في الجانب الجنوبي الغربي من الميدان حيث الشوارع المفضية إلى السفارتين البريطانية والأمريكية. وفي شرق الميدان عند مقهى أسترا المواجه للجامعة الأمريكية والمدرسة الفرنسية، مجموعة من الشباب. واصلت السير.

أول ما شاهدت من المباني المحترقة هو مبنى الخطوط الجوية البريطانية، النيران مشتعلة في الطوابق العليا من المبنى يتصاعد منها دخان أسود كثيف، ومعرض السيارات في الطابق الأرضي متفحم، داخله وأمامه هياكل سيارات محترقة، وسيارات مقلوبة، وفي الجانب الآخر من الشارع كانت المكاتب التابعة لنفس الشركة قد أكلتها النيران. في مجرى الشارع لافتات محطمة وبقايا أثاث محترق وركام من زجاج مكسر وأخشاب وحدائد ودفاتر وأوراق تحولت أطرافها إلى رقائق من رماد.

تكرر المشهد على جانبي شارع قصر النيل. جروبي والطابق الأول من المبنى حيث النادي اليوناني، ومحلات روبرت هيوز، وبن زَيون، وشالون، وبوسطون هاوس، وميزون أوبل للسيارات، وميزون فرانسيز للكتب، والمغسلة الأمريكية، وفانيتي شوب، ومتاجر أخرى لم أعد أتذكرها، مررت بها وتطلعت. رأيت الواجهات الزجاجية المهشّمة والمداخل المدمرة، والأثاث المتفحم، والبضائع المتناثرة في الشارع والسيارات المقلوبة.

واصلت طريقي إلى البيت.